(٨) شواهد الأمـل

جوانب من الأمل

د. صلاح سلطان:

لا زلنا مع شواهد الامل في واقعنا المعاصر، لأننا لا يمكن أن نبدأ في صناعة العلماء دون أن تستقر قاعدة يقينية عقيدية في عقل كل إنسان بأننا قادرون بفضل الله على صناعة المستقبل من خلال رؤية الشواهد الإيجابية في واقعنا.

د. راغب السرجاني:

بداية أُذكِّر الإخوة بعدة أمور:

١. أننا نتكلم عن صناعة العلماء ونريد أن نسقط قضية الأمل والنظر إلى المستقبل بتفاؤل على العلماء الذين نريد أن نصنعهم، والذي يتسلل إلى قلبه اليأس لا يمكن أن يمون عالِما ربانيا لأن العالم الرباني عنده يقين في نصر الله عزَّوجلَّ وفي موعوده.

وأذكر موقفا يُذكِّرنا بأن العالم لا يشترط أن يكون متخرجا من أكبر الجامعات أو أن يكون من كبار الأساتذة، أحد المسلمين البسطاء ممن لا نعرفه ولكن الله يعرفه، كان جندي في موقعة القدسية ولم يذكر الرواة اسمه وذلك دلالة على أنه لم يكن من كبار القادة، أمسك به (رَستَمْ) قائد الفرس ليعرف منه لماذا يدخل المسلمون إلى بلاد فارس وما الذي يجعلهم ينتصرون في كل موقعة، وقال له: ما الذي أتى بكم إلى بلادنا؟ فقال الرجل: جئنا نبحث عن موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: أرضكم ودياركم وأموالكم إن لم تؤمنوا بالله عزَّوجلَّ. فقال رستم : إذًا تقتلون دون ذلك، فقال الرجل في يقين: من مات منا دخل الجنة، ومن بقي منا ظفر عليكم. فقال له: قد وُضِعْنَا إذن في أيديكم. فقال له الجندي المسلم: يا رستم! وَضَعَتْكم أعمالُكم في أيدينا.

انظر إلى الثقة التي يتكلم بها، القضية عنده إما نصر وإما شهادة، كما في الآية: {وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ} [النساء: ٧٤]، ليس هناك اختيار ثالث، وهذه رؤية المسلم الذي لديه نظرة أمل وبداخله الحَمية لنصرة هذا الدين.

فيغضب رستم غضبًا شديدًا، فقتله ويُستَشْهَد في سبيل الله.

مرت الأيام ودخل جيش رستم على قرية فارسية، والجيوش الظالمة لا تفرق بين أهلها وبين الآخرين، فاستباحوها وأخذوا أموالها وهتكوا أعراض نسائها، وهم من أهلهم! فنظر رستم وقال: صدق العربي، أعمالنا وضعتنا في أيديهم.

لكن اللقطة الرائعة في حياة هذا الرجل المسلم وهو ينظر إلى الدين بهذه العزة، بالرغم من انه رجل بسيط وأسير في يد رجل عملاق من عملاقة العالم، ويقف أمامه بمنتهى الصلابة ويقول له هذا الكلام الذي قاله.

ومن هنا فكل من يُعد طفلا أو شابا أو طالبا ليصبح عالِما عليه أن يزرع فيه هذا الأمل وهذا اليقين في موعود الله عزَّ وجلَّ.

٢.يجب أن نفهم أن المُحبَط لا يعمل ولا يستطيع أن يغير، عندما مر الصحابي ثابت بن الدحداح رضي الله عنه في موقعة أحد على مجموعة من الناس جالسين على الأرض لا يُقاتِلون كانوا قد أُحبِطوا بسبب إشاعة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا المُحبَط لا يستطيع أن يرفع سيفه ليدافع عن نفسه، فقال لهم: ما الذي تفعلون؟ قالوا: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إذا قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم قاتل حتى قُتل رضي الله عنه.

فانظر إلى اليأس إذا دخل في المسلمين، حتى قال العلماء عن حالة المسلمين أيام التتار أن الرجل منهم لا يستطيع أن يرفع سيفه ليدافع عن نفسه، فالذي كبَّلهم هو اليأس والاحباط.

د. صلاح:

قال أحد العرب: (إنَّ البَعُوْضَةَ تُدْمِيْ مُقْلَةَ الأَسَدِ)، فلو فكر الإنسان أنه إنسان ويستطيع أن يسدد رمية في عمق العدو، ويستطيع أن يبذر بذرة في أرض الله عمارةً في الارض.

لكن هناك الآن من العلماء الربانيين وطلاب العلم في شتى بلاد العالم ممن إذا رأيتهم تُدمع لهم العين وأدعوا الله أن يلحقني بهؤلاء العلماء الربانيين، وبالرغم من ظروف مادية صعبة جدا إلا أنهم يجاهدون لحضور ندوات العلم، ومنذ مدة كنت في ألمانيا مع أكثر من مئة من العلماء، وانا انظر في وجوههم وحديثهم كنت أرى مستقبل مشرق من خلالهم.

د. راغب:

نلاحظ أيضًا النضج الذي وصلت إليه الجاليات المسلمة في البلاد الغربية، أنا كنت في زيارة لإيطاليا والتقيت برئيس اتحاد المنظمات الإسلامية هناك التقيت معه وأثلج صدري بمعلومات رائعة، يقول لي أن في عام ١٩٦٩ كان عدد المسلمين في إيطاليا لا يتجاوز ألف مسلم بل وكان معظمهم طلبة قادمون من بلاد عربية، والآن عدد المسلمين مليون ونصف مسلم.

وفي عام ١٩٨٦ أعلن بابا روما أعلن أن عدد المسلمين تجاوز عدد الكاثوليك في العالم، وهناك دراسات تقول بأنه في عام ٢٠٣٠ سيتجاوز عدد المسلمين كل عدد النصارى باختلاف فرقهم، وستصبح الديانة الإسلامية الأكثر إتباعا في الدنيا بكاملها!

أعلم أن البعض قد يقول ليس المهم في العدد، فأقول أنني أتكلم في جانب النضج الذي وصلت إليه الجاليات المسلمة وليس عن العدد فقط.

د. صلاح:

في السابق كان هناك أعداد ضخمة من المسلمين تسافر إلى هذه البلاد ولكن هذه الأعداد كانت تذوب لأنهم كانوا منشغلين بالعمل، أما الآن مثلا نجد أن رئيس وزراء بريطانيا يلوم رئيس وزراء ماليزيا على الأنشطة الكثيرة التي يقوم بها الماليزيين في بريطانيا، لكن يرد عليه بأن هؤلاء يرجعون إلى بلادهم أكثر تدينًا وعلمًا بالإسلام.

وهذا الأمر ليس مقتصر على الكبر بل الأطفال أيضا، أنا كنت في الجزائر ووقف طفل في السابعة من عمره يقرأ القرآن حفظًا وقرأ من الحديث ويقرأ قصائد شعرية كاملة تصل إلى الأربعين بيتا، وكان نموذج متميز في قوة التأثير بالإلقاء.

وكنت ذات مرة في مؤسسة القدس الدولية وقامت بنت تدعى سلمى عبد الفتاح وألقت قصيدتين، قال فيهم الحاج أمين الدين أنا أول مرة في حياتي أرتعش بهذه الدرجة وأحسست أني أضعف منها، وهي بنت صغيرة قامت فهزت القلوب بقصائد في منتهى القوة عن القدس والشهيد أحمد.

وكذلك طفل عمره تسع سنوات من اليمن أتى إلى البحرين وفاجأ الجميع بحفظه للقرآن وحفظه الصحاح من كتب الحديث بالأسانيد والشعر والأدب والروايات.

عالم الأطفال الآن صار به نوابغ، حدثني الدكتور عبدالله بصفر بأنهم ذهبوا إلى باكستان في إسلام أباد لعمل مسابقة للقرآن الكريم لمن هم أقل من العشر سنوات وخاتم القرآن، فتوقعنا أن يحضر ٦٠٠ طفل ولهذا حجزنا فندقا على حسب هذا العدد، لكن فوجئنا بأعداد رهيبة جدا من المُتقدمين فاضطررنا بحجز استاد يسع لـ ٢٠ ألف شخص وكان ممتلئا عن آخره بالأطفال.

د. راغب:

عندما نتكلم عن الأمل والتفاؤل، هل ترى أن الإفراط في الأمل والتفاؤل قد يؤدي إلى مشكلة أخرى؟
فمع ذكرنا لهذه الشواهد قد يقول البعض أن حالنا جيد ولا يحتاج لتعديل!

لكن نقول لهم أننا نذكر هذه الشواهد لأننا سنتكلم فيما بعد عن أزمات تعاني منها الأمة الاسلامية الآن، فما نذكره من الأمل واليقين في نصر الله عزَّ وجلَّ، وانتظار موعود الله الذي هو آتٍ لا محال وستمكن هذه الأمة، ليس نوعا من التخدير للأمة فنحن لا نسكن آلام الأمة، بل مثلما فعل النبي صل الله عليه وسلم كان في الأزمات الشديدة يذكر أصحابه بالأمل والنصر والتمكين.

د. صلاح

الأمة مُهيئة لأن تقود العالم، بل والأبحاث الاوربية تقول ذلك، مثلا يوم أن غزت أمريكا العراق ، دخل وزير الدفاع على المستشار الاستراتيجي السفاح شارون فوجده حزينا وبجواره عدد من الكتب، فقال له نحن وصلنا العراق وستُفتح لنا الدنيا، فقال له: هذه الامة ولود وهذه الكتب تقول أن هذه الأمة إذا انهزمت ما تلبث حتى تعود مرة أخرى، فعندها عناصر استعادة البناء واستعادة البقاء.

وكذلك في كتاب صدام الحضارات لـ هنتنجتون قال فيه أن الحضارات التي تهدد أمريكا هي الحضارة الصينية والحضارة الاسلامية.

كل هذا بالرغم مما تمر به هذه الأمة الآن من انحدار.

د. راغب:

ويقول أيضا أنها هي المؤهلة للصدام وأنها القوى الرئيسية التي يمكن ان تقف أماما الغرب، وبالرغم من أنه ذكر في كتابه مغالطات كثيرة، لكن الشاهد هنا انه يرى أن هذه القوى هي قوة مخوفة، ولهذا نقول إن كان عدوك يخاف منك فاعلم أنك الأقوى.

القرآن يقول أن الإسلام قوي والرسول يقول ذلك، والعلماء وتاريخنا وواقعنا حتى أن الغرب يقولون ذلك، فلماذا نقلل نحن من قوتها؟

د. صلاح:

فلنعش الألم لكن ليكن الأمل أكبر دائمًا، ثم نمزجهما بقول الله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة:١٠٥].

وبإذن الله الغد أفضل من اليوم، واليوم أفضل من الأمس.